العنوان:	الفكر التربوي عند الإمام ابن حزم الأندلسي
المؤلف الرئيسي:	الزين، لبنى إبراهيم مصطفى
مؤلفين آخرين:	التل، وائل عبدالرحمن(مشرف)
التاريخ الميلادي:	2001
موقع:	أم درمان
الصفحات:	1 - 150
رقم MD:	562516
نوع المحتوى:	رسائل جامعية
اللغة:	Arabic
الدرجة العلمية:	رسالة ماجستير
الجامعة:	جامعة أم درمان الاسلامية
الكلية:	كلية التربية
الدولة:	السودان
قواعد المعلومات:	Dissertations
مواضيع:	الفكر التربوي ، ابن حزم، عبد الله بن أبي بكر بن محمد ، ت 135 هـ، الأحوال السياسية ، الأندلس، الإنتاج الفكري
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/562516

© 2024 المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو المنظومة.

للإستشهاد بهذا البحث قم بنسخ البيانات التالية حسب إسلوب الإستشهاد المطلوب:

إسلوب APA

الزين، لبنى إبراهيم مصطفى، و التل، وائل عبدالرحمن. (2001).الفكر التربوي عند الإمام ابن حزم الأندلسي(رسالة ماجستير غير منشورة). جامعة أم درمان الاسلامية، أم درمان. مسترجع من http://search.mandumah.com/Record/562516

إسلوب MLA

الزين، لبنى إبراهيم مصطفى، و وائل عبدالرحمن التل. "الفكر التربوي عند الإمام ابن حزم الأندلسي" رسالة ماجستير. جامعة أم درمان الاسلامية، أم درمان، 2001. مسترجع من http://search.mandumah.com/Record/562516

© 2024 المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو المنظومة.

الفصل الرابع

نتائج الدراسة

الفصل الرابع

نتائـــج الدراســـة

يخصص هذا الفصل للكشف عن النتائج التي توصلت إليها الدراسة، وتعرض لها الباحثة وفق كل سؤال من أسئلة الدراسة الأربعة، وعلى النحو التالي :

أولاً : النتائج المتعلقة بالسؤال الأول وهو : ما القواعد السلوكية العقلية والمعرفية عند ابن حزم الأندلسي في كتابه الأخلاق والسير في مداواة النفوس؟

تمكنت الباحثة من تحديد (٩) تسع قواعد سلوكية عقلية ومعرفية عند ابن حزم الأندلسي كما تبدو في كتابه الأخلاق والسير في مداواة النفوس ، وهي :

١-٢ : طلب العلم والعمل به :

أكد ابن حزم على أن طلب العلم، والعمل بما تعلمه في طلبه،هما :
«فضيلتان من جمع بينهما فقد استوفى الفضيلتين معاً» [١].

إلاّ أن من علم العلم وعدم العمل به عند ابن حزم هو خير ممن لم يطلب العلم ولم يعمل به، فقال:

«ومن علمه ولم يعمل به فقد أحسن في التعلم وأساء في ترك العمل به فخلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً وهو خير من آخر لم يعلمه ولم يعمل به، وهذا - الذي لا خير فيه - أمثل حالاً، وأقل ذماً، من آخر ينه عن تعلم الخير، ويصد عنه. ولو لم ينه عن الشر إلا من ليس فيه منه شيء، ولا أمر بالخير إلا من استوعبه لما نهى أحد عن شر ولا أمر بخير بعد النبي (ﷺ)، وحسبك بمن أدى رأيـــه إلى هذا فساداً وسوء طبع وذم حال» [٢].

وأكد رأيه بقوله :

«وقد صـــح عن الحسن أنه سمع إنســـاناً يقول : لا يجـــب أن ينهى عن الشر إلاّ من لا يفعله، فقال الحسن :

---

(١) ابن حزم ، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي (ت ٤٥٦هـ) : الأخلاق والسير في مداواة النفوس، بيروت : الناشر دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م، ص٩٢، (وسيشار إليه فيما بعد هكذا : ابن حزم : الأخلاق والسير في مداواة النفوس).
(٢) المرجع السابق، ص٩٢.

«ودّ إبليس لو ظفر منا بهذه حتى لا ينه أحد عن منكر، ولا يأمر بمعروف» [1]

ومن أسباب وجوب طلب العلم عنده تظهر في قوله : « لو لم يكن من فضل العلم إلا أن الجهال يهابونك ويجلّونك، وأن العلماء يحبونك ويكرمونك ، لكان ذلك سبباً إلى وجوب طلبه، فكيف بسائر فضله في الدنيا والآخرة، ولو لم يكن من نقص الجهل، إلاّ أن صاحبه يجسد العلماء ويغبط نظراءه من الجهال، لكان ذلك سبباً إلى وجوب الفرار عنه، فكيف بسائر رذائله في الدنيا والآخرة ! ولو لم يكن من فائدة العلم والاشتغال به، إلا أنه يقطع المشتغل به عن الوساوس المضنية، ومطارح الآمال التي لا تفيد غير الهمّ، وكفاية الأفكار المؤلمة للنفس لكان ذلك أعظم داع إليه، فكيف وله من الفضائل ما يطول ذكره ! ومن أقلها ما ذكرنا مما يحصل عليه طالب العلم، وفي مثله أتعب ضعفاء الملوك أنفسهم، فتشاغلوا عما ذكرنا بالشطرنج، والنرد ، والخمر، والأغاني، وركض الدواب في طلب الصيد، وسائر الفضول التي تعود بالمضرة في الدنيا والآخرة، وأما فائدة فلا فائدة» [2] .

كما تظهر في قوله :

«منفعة العلم في استعمال الفضائل عظيمة، وهو أنه يعلم حسن الفضائل فيأتيها ولو في الندرة، ويعلم قبح الرذائل فيجتنبها ولو في الندرة، ويسمع الثناء الحسن فيرغب في مثله، والثناء الردئ فينفر منه، فعلى هذه المقدمات يجب أن يكون للعلم حصة في كل فضيلة، وللجهل حصة في كل رذيلة، ولا يأتي الفضائل ممن لم يتعلم العلم إلا صافي الطبع جداً، فأضل التركيب، وهذه منزلة خُص بها النبيون عليهم الصلاة والسلام - لأن الله تعالى علمهم الخير كله ، دون أن يتعلموه من الناس» [3].

---

(١) ابن حزم : الأخلاق والسير في مداواة النفوس، ص٩٣.

(٢) المرجع السابق، ص٢١.

(٣) المرجع السابق، ص٢٥

٣- الاستزادة من العلم والأجر :

يؤكد ابن حزم على كلّ أحد إذا أراد حضور مجلس علم أن يحرص عليه بغرض الاستزادة منه علماً وأجراً ، وحذّر أن يحضر حضور مستغن يطلب فيه أفعال رذيلة، فقال :

« إذا حضرت مجلس علم فلا يكن حضورك إلا حضور مستزيد علماً وأجراً لا حضور مستغن بما عندك، طالباً عثرة تشيعها، أو غريبة تشنعها، فهذه أفعال الأرزال الذين لا يفلحون في العالم أبداً. فإذا حضرتها على هذه النية فقد حصلت خيراً على كل حال وإن لم تحضرها على هذه النية فجلوسك في منزلك أروح لبدنك، وأكرم لخلقك وأسلم لدينك » [١].

ووجه ابن حزم إلى عدم المبالغة، أو قبول العلم دون برهان قاطع ، حتى تحصل الزيادة في العلم فقال:

«إذا ورد عليك خطاب بلسان، أو هجمت على كلام في كتاب، فإياك أن تقابله مقابلة المغاضبة الباعثة على المغالبة، قبل أن تتبين بطلانه ببرهان قاطع. وأيضاً فلا تقبل عليه إقبال المصدّق به، المستحسن إياه، قبل علمك بصحته ببرهان قاطع، فتظلم في كلا الوجهين نفسك وتبعد عن إدراك الحقيقة. ولكن أقبل عليه إقبال سالم القلب عن النزاع عنه، والنزوع إليه، إقبال من يريد حظ نفسه في فهم ما سمع ورأى فالتذيذ به علماً وقبوله إن كان حسناً أو ردّه إن كان خطأ ، فمضمون لك . إن فعلت ذلك الأجر الجزيل ، والحمد الكثير، والفضل العميم»[٢].

٤- طلب أجل العلوم وأدفعها :

حث ابن حزم طالب العلم على أن يشغل نفسه في طلب أجل العلوم وأرفعها، فقال :

« من شغل نفسه بأدنى العلوم، وترك أعلاها وهو قادر عليه، كان كزارع الذرة في الأرض التي يجود فيها البرّ، وكفارس الشعراء حيث يذكو النخل والزيتون» [٣].

---

(١) ابن حزم : الأخلاق والسير في مداواة النفوس، ص٩٠.
(٢) المرجع السابق، ص٩١.
(٣) المرجع السابق، ص٢٢.

ويرى ابن حزم أن أجل العلوم هي تلك التي تقرب من الله تعالى ، فقال :

« أجل العلوم ما قربك من خالقك تعالى وما أعانك على الوصول إلى رضاه »[1].

أما من مال أدنى العلوم بطبعه فليثبت عليه حتى يستفيد ، فقال:

« من مال بطبعه إلى علم ما - وإن كان أدنى من غيره فلا يشغلها بسواه، فيكون كفارس النارجيل بالأندلس وكفـــارس الزيتون بالهند، وكل ذلك لا ينجب » [2].

٥- التدرج في دراسة العلوم :

يرى ابن حزم أن في دراسة أي من العلوم دون التدقيق في مناسبتها لقدرات الدارس العقلية كمن يهلك نفسه، مما يشير إلى أهمية التدرج في دراسة العلوم كلّ حسب مستواه وقدراته ، فقال:

« العلوم الغامضة كالدواء القوي يصلح الأجساد القوية ويهلك الأجساد الضعيفة. وكذلك العلوم الغامضة. تزيد العقل القوي جودة وتصفيه من كل آفة، وتهلك ذا العقل الضعيف » [3].

٦- نشـــر العلم :

حث ابن حزم العالم على نشر ما علمه، وشرط عليه أن ينشره عند من هم أهل له، فقال :

«نشر العلم عند من ليس من أهله مفسد لهم، كإطعامك العسل والحلواء من به احتراق وحمّى، أو كتشميمك المسك والعنبر لمن به صداع مع احتدام الصفراء» [4].

وقال :

« الباخل بالعلم، ألأم من الباخل بالمال، لأن الباخل بالمال أشفق من فناء ما بيده، والباخل بالعلم بخل بما لا يفنى على النفقة، ولا يفارقه مع البذل» [5].

---

(١) ابن حزم : الأخلاق والسير في مداواة النفوس، ص٢٢.
(٢) المرجع السابق، ص٢٢.
(٣) المرجع السابق، ص٢٣.
(٤) المرجع السابق، ص٢٢.
(٥) المرجع السابق، ص٢٢.

٧-التدبر والتبصر:

حث ابن حزم على التدبر والتبصر لما فيها من سعادة وإن أصاب المتدبر فحسب، فقال:

« قد ينحس العاقل بتدبيره ولا يجوز أن يسعد الأحمق بتدبيره »[١]

وقال :

« أشبه ما رأيت بالدنيا خيال الظل وهي تماثيل مركبة على مطحنة خشب تدار بسرعة فتغيب طائفة وتبدو أخرى » [٢].

٨- حفظ العقل من الفساد :

يرى ابن حزم أن على الإنسان أن يحفظ عليه عقله، وألاّ يطمئن على قدرته في خوض الآراء الفاسدة فيهلك، فقال :

«ما رأينا شيئاً فسد فعاد إلى صحته إلا بعد لأي، فكيف بدماغ يتوالى عليه فساد السكر كل ليلة ، وإن عقلاً زين لصاحبه تعجيل إفساده كل ليلة، لعقل ينبغي أن يتهم » [٣] وقال :

« لا تضر بنفسك في أن تجرب بها الآراء الفاسدة، لتُرى المشير بها فسادها فتهلك، فإن ملامة ذي الرأي الفاسد لك على مخالفته وأنت ناج من المكاره، خير لك من أن يعذرك ويندم كلاكما، وأنت قد حصلت في مكاره » [٤]

٩-اجتناب التقليد :

يرى ابن حزم أن التقليد تغييب للعقل، قال : « المقلد راض أن يغبن عقله ولعله مع ذلك يستعظم أن يغبن في ماله فيخطئ في الوجهين معاً » [٥].

---

(١) ابن حزم : الأخلاق والسير في مداوة النفوس، ص٢٩.

(٢) المرجع السابق، ص٣٠.

(٣) المرجع السابق، ص٢٨.

(٤) المرجع السابق، ص٢٣- ٢٤.

(٥) المرجع السابق، ص٧٩.

ثانياً : النتائج المتعلقة بالسؤال الثاني : ما القواعد السلوكية القلبية عند ابن حزم الأندلسي في كتاب هالأخلاق والسير في مداواة النفوس؟

تمكنت الباحثة من تحديد (١٢) أثنتا عشرة قاعدة سلوكية قلبية عند ابن حزم الأندلسي كما تبدو في كتابه الأخلاق والسير في مداواة النفوس ، وهي :

١- الفرح بالرفعة :

حدّد ابن حزم أسباب الاغتباط والفرح القلبي بقوله :

« من قوي تمييزه، واتسع علمه، وحسن عمله، فليغتبط بذلك، فإنه لا يتقدمه في هذه الوجوه إلا الملائكة وخيار الناس» [١]

٢- الحب للغير ما يحب لنفسه :

إن من جماع كل فضيلة عند ابن حزم أن يحب المرء لغيره ما يحب لنفسه فقال:

« قول رسول الله ﴿ﷺ﴾ للذي أستوصاه : لا تغضب، وأمره – عليه السلام – أن يحب المرء لغيره ما يحب لنفسه، جامعان لكل فضيلة، لأن في نهيه عن الغضب ردع النفس ذات القوة الغضبية عن هواها، وفي أمره – عليه السلام – أن يحب المرء لغيره ما يحب لنفسه ردع النفس عن القوة الشهوانية، وجمع لازمة العدل الذي هو فائدة النطق الموضوع في النفس الناطقة » [٢].

ومن ذلك تمني الخير لهم، فقال :

« من عجائب الدنيا قوم غلبت عليهم آمال فاسدة، لا يحصلون منها إلا على أتعاب النفس عاجلاً، ثم الهمّ والإثم آجلاً كمن يتمنى غلاء الأقوات التي في غلائها هلاك الناس وكمن يتمنى بعض الأمور التي فيها الضرر لغيره وإن كانت له فيها منفعة، فإن تأميله ما يؤمل من ذلك لا يعجل له ذلك قبل وقته، ولا

---

(١) ابن حزم : الأخلاق والسير في مداواة النفوس ، ص١٩.

(٢) المرجع السابق، ص١٩.

يأتيه من ذلك بما ليس في علم الله تعالى تكوّنه ، فلو تمنى الخير والرخاء، لتعجل الأجر والراحة والفضيلة، ولم يتعب نفسه طرفة عين فما فوقها، فأعجبوا لفساد هـــذه الأخلاق بلا منفـــعة» [1] .

وبين ابن حزم حال الناس فـــي زمانه بقوله :

«رأيت أكثر الناس، إلا من عصم الله تعالى وقليل ما هم، يتعجلون الشقاء والهمّ والتعب لأنفسهم في الدنيا، ويحتقبون عظيم الإثم الموجب للنار في الآخرة بما لا يحظون معه بنفع أصلاً من نيات خبيثة يضبّون عليها من تمني الغلاء المهلك للناس وللصغار، ومن لا ذنب له، وتمني أشد البلاء لمن يكرهونه، وقد علموا يقيناً أن تلك النيات الفاسدة لا تعجل لهم شيئاً مما يتمنونه، أو يوجب كونه، وأنهم لوصفوا نياتهم وحسنوها، لتعجلـــوا الراحة لأنفسهم وتفرغوا بذلك لمصالح أمورهم ولاقتنوا بذلك عظيم الأجر في المعاد، من غير أن يؤخر ذلك شيئاً مما يريدونه، أو يمنع كونه . فأي غبن أعظـــم من هذه الحال التي نبهنا عليها، وأي سعد أعظم من التي دعونا إليها» [2].

٣- نهي النفس عن الهوى :

حث ابن حزم الإنسان على نهي النفس عن الهوى في معرض استشهاده بقوله تعالى : ﴿ وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى ﴾[3].

حيث هي :

«جامع لكل فضيلة، لأن نهي النفس عن الهوى هو ردعها عن الطبع الغضبي وعن الطبع الشهواني، لأن كليهما واقع تحت موجب الهوى فلم يبق إلا استعمال النفس للنطق الموضوع فيها الذي به بانت عن البهائم والحشرات والسباع» [4].

---

(١) ابن حزم : الأخلاق والسير في مداواة النفوس، ص٦٣-٦٤.

(٢) المرجع السابق، ص ١٩-٢٠.

(٣) النازعات : آية ٤٠-٤١.

(٤) ابن حزم : الأخلاق والسير في مداواة النفوس، ص١٩.

٤- الإخلاص في العمل :

حدد ابن حزم أوجهاً للإخلاص في العمل في معرض حديثه عن طرد الهم، منها التوجّه إلى الله بالعمل للآخرة ،بقوله :

« وليس في العالم مذ كان إلى أن يتناهى أحد يستحسن الهمّ ولا يريد طرده عن نفسه، فلما استقر في نفسي هذا العلم الرفيع وانكشف لي هذا السر العجيب، وأنار الله تعالى لفكري هذا الكنز العظيم، بحثت عن سبيل موصلة -على الحقيقة- إلى طرد الهم الذي هو المطلوب للنفس الذي اتفق جميع أنواع الإنسان - الجاهل منهم والعالم والصالح والطالح على السعي له، فلم أجدها إلا التوجه إلى الله - عز وجل- بالعمل للآخرة . وإلا فإنما طلب المال طلابه ليطردوا به همّ الفقر عن أنفسهم. وإنما طلب الصوت من طلبه ليطرد به عن نفسه همّ الاستعلاء عليها، وإنما طلب اللذات من طلبها ليطرد بها عن نفسه همّ فوتها، وإنما طلب العلم من طلبه ليطرد به عن نفسه همّ الجهل، وإنما هش لسماع الأخبار ومحادثة الناس من يطلب ذلك ليطرد بها عن نفسه هم التوحّد،ومغيب أحوال العالم منه، وإنما أكل من أكل، وشرب من شرب، ونكح من نكح، ولبس من لبس، ولعب من لعب، واكتنّ من اكتن وركب من ركب ومشى من مشى وتودع من تودع ليطردوا عن أنفسهم أضداد هذه الأفعال وسائر الهموم. وفي كل ما ذكرنا - لمن تدبره - هموم حادثة ، لابد لها من عوارض تعرض في خلالها، وتعذّر ما يتعذّر منها، وذهاب ما يوجد منها، والعجز عنه لبعض الآفات الكائنة، وأيضاً نتائج سوء تنتج بالحصول على ما حصل عليه من كل ذلك، من خوف منافس، أو طعن حاسد، أو اختلاس راغب أو اقتناء عدوّ، مع الذم والإثم، وغير ذلك »[1].

وقال :

«ووجدت العمل للآخرة - سالماً من كل عيب خالصاً من كل كدر موصلاً إلى طرد الهم على الحقيقة، ووجدت العامل للآخرة - إن امتحن بمكروه في تلك السبيل -

(١) ابن حزم : الأخلاق والسير في مداواة النفوس، ص١٤- ١٥.

لم يهتم بل يُسر، إذ رجاؤه في عاقبة ماينال به عون له على ما يطلب، وزايد في الغرض الذي إياه يقصد. ووجدته إن عاقه عما هو بسبيله عائق لم يهتم، إذ ليس مؤاخذاً بذلك، فهو غير مؤثر في ما يطلب . ورأيته إن قصد بالأذى سُر، وإن تكتبه نكبة سُرّ، وإن تعب فيما سلك فيه سُرّ، فهو في سرور متصل أبداً وغيره بخلاف ذلك أبداً. فأعلم أنه مطلوب واحد هو طرد الهمّ. وليس إليه إلا طريق واحد، هو العمل لله تعالى، فما عدا هذا فضلال وسخف»[1].

وقال :

«وإذا تعقبت الأمور كلها فسدت عليك وانتهيت في آخر فكرتك باضمحلال جميع أحوال الدنيا، إلى أن الحقيقة إنما هي العمل للآخرة فقط» [2].قال تعالى : ﴿ تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم﴾ [3].

لأن كل أمل ظفرت به فعقباه حزن، إما بذهابه عنك، وأما بذهابك عنه، ولابد من أحد هذين الشيئين، إلا العمل لله عز وجل - فعقباه على كل حال سرور في عاجل وآجل، أما العاجل فقلة الهم بما يهتم به الناس، وإنك به معظم من الصديق والعدو وأما في الأجل فالجنة»[4].

وقد بين ابن حزم جوانب العمل الصالح بقوله :

«لأتبذل نفسك إلاّ فيما هو أعلى منها وليس ذلك إلا في ذات الله - عزّ وجل - في دعاء إلى حق، وفي حماية الحريم وفي دفع هوان لم يوجبه عليك خالقك تعالى، وفي نصر مظلوم، وباذل نفسه في عرض دنيا كبائع الياقوت بالحصى».[5]

---

(١) ابن حزم : الأخلاق والسير في مداواة النفوس، ص ١٥- ١٦.
(٢) المرجع السابق، ص١٣
(٣) سورة الأنفال : آية ٦٧.
(٤) ابن حزم : الأخلاق والسير في مداواة النفوس، ص١٣.
(٥) المرجع السابق، ص١٦.

٥-٦ الخوف من الله تعالى ، ومحبته :

إن أعلى الحبّ حبّ الله، وأعلى درجات الخوف هو الخوف من الله، عند ابن حزم الأندلسي، فمما شاهده ابن حزم الأندلسي في أحوال خوف الناس وحبهم، أنه قال :

« المحبة كلها جنس واحد ، ورسمها، أنها الرغبة في المحبوب وكراهة منافرته، والرغبة في المقارضة منه بالمحبة، وإنما قدّر الناس أنها تختلف من أجل اختلاف الأغراض فيها، وإنما اختلفت الأغراض من أجل اختلاف الأطماع وتزايدها وضعفها أو انحسامها، فتكون المحبة لله -عزّ وجل - وفيه ، وللإتفاق على بعض المطالب، وللأب والابن والقرابة والصديق وللسلطان ولذات الفراش وللمحسن وللمأمول وللمعشوق، فهذا كله جنس واحد، اختلفت أنواعه كما وصفت لك، على قدر الطمع فيما ينال من المحبوب، فلذلك اختلفت وجوه المحبة. وقد رأينا من مات أسفاً على ولده، كما يموت العاشق أسفاً على معشوقه، وبلغنا عمن شهق من خوف الله تعالى ومحبته فمات »[1].

وقد عدّ الخوف من مقام الله جماع كلّ فضيلة، فقال :

« قوله تعالى : ﴿ وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى﴾ [2]جامع لكل فضيلة »[3].

٧- ١٠ الصبر، الحلم، صفاء الضمائر، صحة المودة :

أشار ابن حزم على كلّ أحد بالصبر والحلم على اختيار الصديق ممن كان من أهل الصبر، والحلم، وصفاء الضمائر، وصحة المودة، وقال في ذلك :

«من طلب الفضائل لم يساير إلاّ أهلها، ولم يرافق في تلك الطريق إلا أكرم صديق من أهل المواساة، والبر، والصدق، وكرم العشرة، والصبر، والوفاء، والأمانة، والحلم، وصفاء الضمائر، وصحة المودة، ومن طلب الجاه والمال واللذات،

---

(١) ابن حزم : الأخلاق والسير في مداواة النفوس، ص٥٠.
(٢) سورة النازعات ، آية ٤٠-٤١.
(٣) ابن حزم : الأخلاق والسير في مداواة النفوس، ص١٩.

لم يساير إلا أمثال الكلاب الكلبة والثعالب الخلبة، ولم يرافق في تلك الطريق إلاّ كل عدوّ المعتقد، خبيث الطبيعة» [1].

وقد قسم ابن حزم الصبر على أنواع ثلاثة، فقال :

«الصبر على الجفاء ينقسم إلى ثلاثة أقسام : فصبر عمن يقدر عليك ولا تقدر عليه، واصبر عمن تقدر عليه ولا يقدر عليك.واصبر عمن لا تقدر عليه ولا يقدر عليك فالأول ذل ومهانة وليس من الفضائل. والرأي لمن خشي ما هو أشد مما يصبر عليه : المتاركة والمباعدة . والثاني فضل وبرّ، وهو الحلم على الحقيقة، وهو الذي يوصف به الفضلاء، والثالث ينقسم إلى قسمين : إما أن يكون الجفاء ممن لم يقع منه إلاّ على سبيل الغلط ويعلم قبح ما أتى به، ويندم عليه فالصبر عليه فضل وفرض وهو حلم على الحقيقة ، وأما من كان لا يدري مقدار نفسه ويظن أن لها حقاً يستطيل به فلا يندم على ما سلف منه فالصبر عليه ذلّ للصابر، وإفساد للمصبور عليه، لأنه يزيد استشراءً والمقارضة له سخف، والصواب إعلامه بأنه كان ممكناً أن ينتصر منـــه، وأنه إنما ترك ذلـــك استرذالاً له فقط وصيانة عـــن مراجعته ولا يـــزاد على ذلك ، وأما جفاء السقلـــة فليس جزاؤه إلاّ النكال وحده» [2].

وقد أكدّ ابن حزم على وجوب إظهار الصبر وعدم إبطانه، فقال :

«فلما كان إظهار الجزع مذموماً كان إظهار ضده محموداً، وهو إظهار الصبر، لأنه ملك للنفس، وإطراح لما لا فائدة فيه، وإقبال على ما يعود وينتفع به في الحال، وفي المستأنف. وأما استيطان الصبر فمذموم، لأنه ضعف في الحس، وقسوة في النفس، وقلة رحمة، وهذه أخلاق سوء لا تكون إلا في أهل الشر، وخُبث الطبيعة، وفي النفوس السبعية الرديئة، فلما كان ما ذكرنا يقبح كان ضده محموداً وهو استيطان الجزع لما في ذلك من الرحمة والشفقة، والفهم يقدر الرزية، فصح بهذا أن الاعتدال هو أن يكون المرء جذوع النفس، صبور الجسد، بمعنى أنه لا يظهر في وجه ولا جوارحه شيء من دلائل الجزع. ولو علم ذو الرأي الفاسد ما استضر به من فساد تدبيره في السالف، لأنجح بتركه استعماله فيما يستأنف» [3].

(١) ابن حزم : الأخلاق والسير في مداواة النفوس، ص٢٤- ٢٥.
(٢) المرجع السابق، ص٢٦، ٢٧.
(٣) المرجع السابق، ص٨٥.

١١-اجتناب إظهار الجزع:

يرى ابن حزم أن اظهار الجزع عند حلول المصائب مذموم ، فقال :

«فإن اظهار الجزع عند حلول المصائب مذموم لأنه عجز مظهره عن ملك نفسه فأظهر أمراً لا فائدة فيه، بل هو مذموم الشريعة، وقاطع عما يلزم من الأعمال، وعن التأهب لما يتوقع حلوله مما لعله أشنع من الأمر الواقع الذي عنه حدث الجزع»[١].

١٢-الاعتدال في الحب والبغض:

بين ابن حزم أن على المرء أن يتوسط في حبه وبغضه، لأنهما يقودان إلى القطيعة، قال:

«ونجد فرط المودة يلتقي مع فرط البغضة في تتبع العثرات وقد يكون ذلك سبباً للقطيعة عند عدم الصبر والإنصاف» [٢].

ثالثاً : النتائج المتعلقة بالسؤال الثالث ، وهو : ما القواعد السلوكية الخلقية عند ابن حزم الأندلسي في كتابه الأخلاق والسير في مداواة النفوس؟

تمكنت الباحثة من تحديد (٢٤) أربع وعشرين قاعدة سلوكية خلقية عند ابن حزم الأندلسي كما تبدو في كتابه الأخلاق والسير في مداواة النفوس ، وهي :

١-الوفـــاء:

بين ابن حزم أهمية الوفاء، حيث أنّ :

«الغادر يفي للمجدود ، والوفي يغدر بالمحدود » [٣].

ويرى أن الوفاء من وسائل كسب الأصدقاء والأخوان، فقال :

« ليس شيء من الفضائل أشبه بالرزائل من الاستكثار من الأخوان والأصدقاء، فإن ذلك فضيلة تامة متركبة، لأنهم لا يُكتسبون إلاّ بالحلم والجود والصبّر والوفاء والاستضلاع والمشاركة والعفة وحسن الدفاع، وتعليم العلم، وبكل حالة محمودة» [٤].

---

(١) ابن حزم : الأخلاق والسير في مداواة النفوس، ص٨٤- ٨٥.
(٢) المرجع السابق، ص٨١.
(٣) المرجع السابق، ص٢٦.
(٤) المرجع السابق، ص٤٢.

والوفاء عند ابن حزم مركب من العدل والجود والنجدة، فقال :

«الوفاء مركب من العدل والجود والنجدة، لأن الوفي رأى من الجور أن لا يقارض من وثق به، أو من أحسن إليه، فعدل في ذلك. ورأى أن يسمح بعاجل يقتضيه له عدم الوفاء من الحظ، فجاد في ذلك، ورأى أن يتجلد لما يتوقع من عاقبة الوفاء، فشجع في ذلك» [1].

٢-الصـــدق:

يرى ابن حزم أن الصدق دليل على المطبوع، فقال :

« أعدل الشهود على المطبوع على الصدق: وجهه، لظهور الاستراحة عليه إن وقع في كذبة أو همّ بها ». [2]

والكذب عنده أقبح كل شيء والكذاب مهين النفس، فقال:

« لا شيء أقبح من الكذب، وما ظنك بعيب يكون الكفر نوعاً من أنواعه، فكل كفر كذب، فالكذب جنس، والكفر نوع تحته - والكذب متولد من الجور والجبن والجهل، لأن الجبن يُولّد مهانة النفس، والكذاب مهين النفس، بعيد عن عزتها المحمودة» [3].

وقد بين ابن حزم أوجه الكذب والصّدق فيما يكذب أو يصدق بقوله :

«فإنّ النائل مني لا يخلو من أحد وجهين لا ثالث لهما . إما أن يكون كاذباً، وإما أن يكون صادقاً . فإن كان كاذباً فلقد عجّل الله لي الانتصار منه على لسان نفسه، بأن حصل في جملة أهل الكذب، وبأن نبه على فضلي بأن نسب إليّ ما أنا منه بريئ العرض، وما يعلم أكثر السامعين له كذبة، إما في وقته ذلك، وإما بعد بحثهم عما قال . وإن كان صادقاً فإنه لا يخلو من أحد ثلاثة أوجه : إما أن أكون شاركته في أمر استرحت إليه استراحة المرء إلى من يقدّر فيه ثقة وأمانة، فهذا أسوأ الناس حالة، وكفى به سقوطاً وضعة. وإما أن يكون عابني بما

(١) ابن حزم : الأخلاق والسير في مداواة النفوس،ص ٥٨- ٥٩.

(٢) المرجع السابق، ص٨٢.

(٣) المرجع السابق، ص٦٠.

يظن أنه عيب وليس عيباً، فقد كفاني جهله شأنه، وهو المعيب لا من عاب، وإما أن يكون عابني بعيب هو فيّ على الحقيقة وعلم مني نقصاً أطلق به لسانه، فإن كان صادقاً فنفسي أحق بأن ألوم منه، وأنا حينئذ أجدر بالغضب على نفسي مني على من عابني بالحق» [1].

٣-٤ اجتناب الكلف في الرضاء، والغضب:

إن من عيوب النفس الغضب، وعلى الإنسان أن يعين نفسه على مداواتها، وقد كان هذا حال ابن حزم عند مغالبته الغضب فقال:

«كانت فيّ عيوب، فلم أزل بالرياضة، واطلاعي على ما قالت الأنبياء- صلوات الله عليهم- والأفاضل من الحكماء المتأخرين والمتقدمين في الأخلاق وفي آداب النفس، أعاني مداواتها، وحتى أعان الله - عز وجل- على أكثر ذلك بتوفيقه ومنّه، وتمام العدل ورياضة النفس والتصرف بأزمّة الحقائق، هو الإقرار بها ليتعظ بذلك متعظ يوماً إن شاء الله. فمنها كلف في الرضاء، وإفراط في الغضب، فلم أزل أداوي ذلك، حتى وقفت عند ترك اظهار الغضب جملة، بالكلام والفعل والتخبّط، وامتنعت عما لا يحل من الانتصار، وتحملت من ذلك ثقلاً شديداً، وصبرت على مضض مؤلم، كان ربما أمرضني وأعجزني ذلك في الرضا، وكأني سامحت نفسي في ذلك لأنها تمثلت أن ترك ذلك لؤم، ومنها دعابة غالبة، فالذي قدرت عليه فيها إمساكي عما يغضب الممازح، وسامحت نفسي فيها، إذ رأيت تركها من الانغلاق ومضاهياً للكبر» [2].

ومتى قارض الإنسان بكلام عليه أن يتحرى فيه الصدق ويجتنب الغضب فيه، فقال:

«وإن بادرني الأمر لم أقارض إلاّ بكلام مؤلم غير فاحش، أتحرى فيه الصدق، ولا أخرجه مخرج الغضب ولا الجهل» [3].

---

(١) ابن حزم: الأخلاق والسير في مداواة النفوس، ص٣٦.

(٢) المرجع السابق، ص٣٣.

(٣) المرجع السابق، ص٣٥.

٥- اجتناب الطمع :

يؤكد ابن حزم على وجوب اجتناب الطمع، لأن الطمع هو سبب كلّ هم ، فقد قال:

«ولسنا نقول إن الطمع له تأثير في هذا الفن وحده لكنّا نقول أنّ الطمع سبب إلى كل همّ ،حتى في الأموال والأحوال، فإننا نجد الإنسان يموت جاره، وخاله، وصديقه، وابن عمته، وعمه لأم، وابن أخيه لأم، وجده أبو أمه، وابن ابنته، فإذ لا مطمع له في ماله ارتفع عنه الهمّ لفوته عن يده - وإن جلّ خطره وعظم مقداره فلا سبيل إلى أن يمر الاهتمام بشيء منه بباله حتى إذا مات له عصبة على بعد، أو مولى على بعد، وحدث له الطمع في ماله، حدث له من الهمّ والأسف والغيظ والفكرة بفوت اليسير منه عن يده أمر عظيم. وهكذا في الأحوال فنجد الإنسان من أهل الطبقة المتأخرة لا يهتم لإنفاذ غيره أمور بلده دون أمره ولا لتقريب غيره وإبعاده، حتى إذا حدث له مطمع في هذه المرتبة، حدث له مطمع في هذه المرتبة، حدث له من الهمّ والفكرة والغيظ أمر ربما قاده إلى تلف نفسه، وتلف دنياه وأخراه» [١].

وقد أشار إلى أن هذا ديدن بعض الناس حيث أورد :

«أخبرني أبوبكر بن الفياض قال : كتب عثمان بن محامس على باب داره بأستجة، يا عثمان لا تطمع»[٢].

٦- ترك الحسد :

نفرّ ابن حزم من الحسد ببيان حال الحاسد بقوله :

« من بديع ما يقع في الحسد قول الحاسد إذا سمع إنساناً يُغرب في علم ما : هذا شيء بارد ، لم يتقدم إليه ولا قاله قبله أحد . فإن سمع من يبين ما قد قاله غيره قال : هذا بارد ، قد قيل قبله. وهذه طائفة سوء قد نصبت أنفسها للقعود على طريق العلم، يصدّون الناس عنها ليكثر نظراؤهم من الجهال» [٣].

---

(١) ابن حزم : الأخلاق والسير في مداواة النفوس، ص٥٢.

(٢) المرجع السابق، ص٥٣.

(٣) المرجع السابق، ص ٧٧-٧٨.

وأكد على أن الحسد لم يكن من طبعه أبداً، فقال :

«وأما الزهو والحسد والكذب والخيانة فلم أعرفها بطبعي قط» [1]

٧- حسن الخلق :

يرى ابن حزم أنّ حسن الخلق هو هبة الله لبعض خلقه، وأن الله تعالى أيضاً يحرمه كثيراً من خلقه وممّا رآه في حياته جسده بقوله :

«وقد رأيت من غمار العامة من يجري من الاعتدال وحميد الأخلاق إلى ما لا يتقدمه فيه حكيم عالم رائض لنفسه، ولكنه قليل جداً. ورأيت ممن طالع العلوم وعرف عهود الأنبياء - عليهم السلام- ووصايا الحكماء، وهو لا يتقدمه في خبث السيرة وفساد العلانية والسريرة شرار الخلق، وهذا كثير جداً ،فعلمت أنهما مواهب وحرمان من الله تعالى» [2].

كما يرى أن الإنسان يمكن أن يغلب النفس الغضبية بالخلق الحسن، قال :

« مع أن ظهور النفس الغضبية- إذا كانت منقادة للناطقة - فضل وخلق محمود » [3].

٨- اجتناب اللهو :

حثّ ابن حزم أن يصون الإنسان جسمه ونفسه وعرضه ودينه باجتناب اللهو والفساد في أي منها، فقال:

« العرض أعز على الكريم من المال فينبغي للكريم أن يصون جسمه بماله، ويصون نفسه بجسمه، ويصون عرضه بنفسه ، ويصون دينه بعرضه، ولا يصون بدينه شيئاً أصلاً» [4].

---

(١) ابن حزم : الأخلاق والسير في مداواة النفوس، ص٣٧-٣٨.

(٢) المرجع السابق، ص٢٥.

(٣) المرجع السابق، ص٣٤.

(٤) المرجع السابق، ص٧٩.

ويرى ابن حزم ألا يفخر أحد بآباء لهم كانوا لاهين وعابثين، قال:

«لعلّ الآباء الذين تفخر بهم كانوا فساقاً وشربة خمور ولاطه ومتعبثين ونوكى، أطلقت الأيام أيديهم بالظلم والجور، فأنتجوا ظلماً وآثاراً قبيحة، تبقى عارهم بذلك الأيام، ويعظم إثمهم والندم عليها يوم الحساب. فإن كان كذلك، فاعلم أن الذي أعجبت به من ذلك داخل في العيب والخزي والعار والشنّار لا في الإعجاب» [1].

٩-الشجاعة:

أكّد ابن حزم على أن الشجاعة ينبغي أن تكون في موضعها، وأن تكون لله تعالى وإلاّ فهي ليست الشجاعة، فقال :

«فمن سُر بشجاعته التي يضعها في غير موضعها لله - عز وجل - فليعلم أن النمر أجرأ منه، وأن الأسد والذئب والفيل أشجع منه، ومن سر بقوة جسمه، فليعلم أن البغل والثور والفيل أقوى منه جسماً، ومن سر بحمله الأثقال، فليعلم أن الحمار أحمل منه، ومن سر بسرعة عدوه فليعلم أن الكلب والأرنب أسرع عدواً منه» [2].

ويرى أن حد الشجاعة تكون ببذل النفس دفاعاً عن الدين، والعرض، والجار المضطهد ، والمستجير المظلوم، وغيرها من سائر سبل الحق، فقال :

« حد الشجاعة بذل النفس للموت عن الدين، والحريم، وعن الجار المضطهد، وعن المستجير المظلوم ، وعن الهضيمة ظلماً في المال والعرض، وفي سائر سبل الحق، سواء قل من يعارض أو كثر. والتقصير عما ذكرنا جبن وفور، وبذلها في عرض الدنيا تهور وحُمق. وأحمق من ذلك من بذلها في المنع عن الحقوق والواجبات قبلك أو قبل غيرك، وأحمق من هؤلاء كلهم قوم شاهدتهم لا يدرون فيما يبذلون أنفسهم ،فتارة يقاتلون زيداً عن عمرو، وتارة يقاتلون عمراً عن زيد، ولعل ذلك

---

(١) ابن حزم : الأخلاق والسير في مداواة النفس، ص٧١.

(٢) المرجع السابق، ص١٨-١٩.

يكون في يوم واحد ، فيتعرضون للمهالك بلا معنى، فينقلبون إلى النار، أو يفرون إلى العار. وقد أنذر بهؤلاء رسول الله ﴿ﷺ﴾ في قوله : يأتي على الناس زمان لا يدري القاتل فيم قتل، ولا المقتول فيما قُتل» [1].

١٠-المـــروءة:

إن المروءة عند ابن حزم تقتضي للآخر من الأصدقاء، وتوجب عليه، ومنها الإيثار على النفس، فقال:

« لكن للصديق حقاً فإن أردت معرفة وجه العمل في هذا والوقوف على نهج الحق فإن القصة التي توجب الأثرة من المرء على نفسه صديقه ،فحكم الصداقة والمروءة تقتضي للآخر وتوجب عليه أن يؤثر على نفسه»[2].

حيث أن الإيثار على النفس من القوت عند ابن حزم فضل ما دامت دون الهلكة فقد قال :

«بذل الواجبات فرض، وبذل ما فضل عن القوت جود، والإيثار على النفس من القوت بما لا تهلك على عدمه فضل، ومنع الواجبات حرام. ومنع ما فضل عن القوت بخل وشح، والمنع من الإيثار ببعض القوت عذر، ومنع النفس أو الأهل القوت أو بعضه نتن ورذالة ومعصية» [3].

١١-الأمانـــة:

جعل ابن حزم الأمانة معياراً رفيعاً من معايير الرفقة المفيدة، حيث قال:

« من طلب الفضائل لم يساير إلاّ أهلها، ولم يرافق في تلك الطريق إلا أكرم صديق من أهل المواساة، والبر، والصدق، وكرم العشيرة، والصبر، والوفاء، والأمانة، والحلم، وصفاء الضمائر، وصحة المودة» [4].

وقال :

«وأما الخيانة في الأموال ، وإن قلت أو كثرت، فلا تكون إلا من رَذْل بعيد عن الفضل» [5].

---

(١) ابن حزم : الأخلاق والسير في مداواة النفوس، ص٣٢.
(٢) المرجع السابق، ص٤٥.
(٣) المرجع السابق، ص٣١.
(٤) المرجع السابق، ص٢٤.
(٥) المرجع السابق، ص٧٩.

١٢-العفـــــو:

يرى ابن حزم وجوب العفو، لكن ليس عمن هم من أهل الاستئثار والاستغنام والتغافل، لأنه متى كان كذلك فهو علامة المهانة والضعف، فقد قال :

« مسامحة أهل الاستئثار والاستغنام والتغافل لهم ليس مرؤة ولا فضيلة بل هو مهانة وضعف وتضرية لهم على التمادي على ذلك الخلق المذموم، وتغبيط لهم به، وعون لهم على ذلك الفعل السوء، وإنما تكون المسامحة مروءة لأهل الإنصاف المبادرين إلى الإنصاف والإيثار ، فهؤلاء فرض على أهل الفضل أن يعاملوهم بمثل ذلك، لا سيما إن كانت حاجتهم أمسّ وضرورتهم أشد » [١].

١٣-الحيـــــاء:

أشار ابن حزم إلى أنّ الحياء خصلة من الخصال التي لا تورث ندماً ،حيث قال :

«إثنـــان عظمـــت راحتهما : أحدهما في غاية المدح، والآخر في غاية الذم، وهما مطرح الدنيا ومطرح الحياء» [٢].

١٤- حسن الظن :

يرى ابن حزم أن في حسن الظن راحة للنفس، ولا بأس في سوء الظن إن قدر على توفيته حقه، فقال :

«استعمل سوء الظن حيث تقدر على توفيته حقه في التحفظ والتأهب، واستعمل حسن الظن حيث لا طاقة بك على التحفظ فتريح راحة النفس» [٣]

وقد رأى جواز سوء الظن حيث أن بعضه حزم، والحزم فضيلة، إذا لم يقدر صاحبه إلى ما لا يحل من الدين أو في المعاملة، فقال :

---

(١) ابن حزم، الأخلاق والسير في مداواة النفوس، ص٤٤-٤٥.

(٢) المرجع السابق، ص ٦٠.

(٣) المرجع السابق، ٣١.

«وأما سوء الظن فيعده قوم عيباً على الإطلاق وليس كذلك، إلا إذا أدى صاحبه إلى ما لا يحل في الديانة، أو إلى ما يقبح في المعاملة، وإلاّ فهو حزم ، والحزم فضيلة» [1].

١٥- حب الذكر الذي يقرب من الله ويكسب فضيلة :

شدّد ابن حزم على من يحب الذكر وبعد الصيت أن يكون ذلك في الفضائل وأعمال البرّ التي تقرّب من الله تعالى وتكسب فضيلة، وذم ما كان ضدّ ذلك، فقال :

«ليتفكرالإنسان في من ذكر بخير أو بشر هل يزيده ذلك عند الله - عز وجل - درجة، أو يكسبه فضيلة لم يكن حازها بفعله أيام حياته؟ فإذا كان هذا كما قلناه، فالرغبة في الذكر رغبة غرور ولا معنى له ولا فائدة فيه أصلاً. لكن إنما ينبغي أن يرغب الإنسان العاقل في الاستكثار من الفضائل، وأعمال البر التي يستحق - من هي فيه - الذكر الجميل، والثناء الحسن، والمدح، وحميد الصفة. فهي التي تقربه من بارئه تعالى، وتجعله مذكوراً عنده - عز وجل- الذكر الذي ينفعه ويحصل على بقاء فائدته، ولا يبيد أبد الأبد» [2].

١٦-التواضـــع:

أكد ابن حزم على كل أحدٍ بالتواضع، وأن في التواضع خلاص من كثير العيوب، وممّا كان من حال ابن حزم أنه قال :

«كانت فيّ عيوب، فلم أزل بالرياضة، واطلاعي على ما قالت الأنبياء - صلوات الله عليهم - والأفاضل من الحكماء المتأخرين والمتقدمين في الأخلاق وفي آداب النفس، أعاني مداواتها، حتى أعان الله - عز وجل- على أكثر ذلك بتوفيقه ومنّه، وتمام العدل ورياضة النفس والتصرف بأزمّة الحقائق هو الإقرار بها ليتعظ بذلك متعظ يوماً إن شاء الله . فمنها كلف في الرضاء، وإفراط في الغضب، فلم

---

(١) ابن حزم : الأخلاق والسير في مداواة النفوس، ص٣٤.

(٢) المرجع السابق، ص٨٨، انظر نصوصاً أخرى ، ص ٨٦- ٨٨.

أزل أداوي ذلك، حتى وقفت عند ترك إظهار الغضب جملة، بالكلام والفعل والتخبط، وامتنعت مما لا يحل من الانتصار.وتحملت من ذلك ثقلاً شديداً، وصبرت على مضض مؤلم، كان ربما أمرضني وأعجزني ذلك في الرضا، وكأني سامحت نفسي في ذلك لأنها تمثلت أن ترك ذلك لؤم، ومنها دعابة غالبة، فالذي قدرت عليه فيها إمساكي عما يغضب المازح، وسامحت نفسي فيها، إذ رأيت تركها من الانغلاق ومضاهياً للكبر، ومنها عجب شديد، فناظر عقلي نفسي بما يعرفه من عيوبها، حتى ذهب كله، ولم يبق له - والحمد لله - أثر، بل كلفت نفسي احتقار قدرها جملة، واستعمال التواضع. ومنها حركات كانت تولدها غرارة الصبا وضعف الإغضاء، فقصرت نفسي على تركها فذهبت، ومنها محبة في بعد الصيت والغلبة، فالذي وقفت عليه من معاناة هذا الداء الإمساك فيه عما لا يحل في الديانة »[1].

أما من ابتلي بالعجب فقد بين ابن حزم له أن الفضائل كلها منح من الله تعالى ليس له فيها أي خصلة، فقال :

« واعلم بأنك إن تعلمت كيفية تركيب الطبائع، وتولد الأخلاق من امتزاج عناصرها المحمولة في النفس. فستقف من ذلك وقوف يقين على أن فضائلك لا خصلة لك فيها، وأنها منح من الله تعالى لو منحها غيرك لكان مثلك. وأنك لو وكلت إلى نفسك لعجزت ولأهلكت ، فاجعل بدل عجبك بها شكراً لواهبك إياها وإشفاقاً من زوالها، فقد تتغير الأخلاق الحميدة بالمرض وبالفقر وبالخوف وبالغضب وبالهرم. وارحم من مُنع ما مُنحت، ولا تتعرض لزوال ما بك من النعم بالتعاصي على واهبها تعالى. وبأن تجعل لنفسك فيما وهبك خصلة أو حقاً، فتقدّر أنك استغنيت عن عصمته فتهلك عاجلاً أو آجلاً »[2].

---

(١) ابن حزم : الأخلاق والسير في مداواة النفوس، ص٣٣ -٣٤.

(٢) المرجع السابق، ص٧٠.

ويرى أن العجب أصلٌ لرذائل كثيرة مثل التيه والزهو والكبر والنخوة والتعالي، وقال:

«العجب أصل يتفرع عنه التيه والزهو والكبر والنخوة والتعالي، وهذه أسماء واقعة على معانٍ متقاربة. ولذلك صعب الفرق بينها على أكثر الناس. فقد يكون العجب لفضيلة في المعجب ظاهرة، فمن معجب بعلمه فيكفهرّ ويتعالى على الناس، ومن معجب بعمله فيرتفع، ومن معجب برأيه فيزهو على غيره، ومن معجب بنسبه فيتيه، ومن معجب بجاهه وعلو حاله فيتكبر ويتنخىّ. وأقل مراتب العجب أن تراه يتوفر عن الضحك في مواضع الضحك، وعن خفة الحركات، وعن الكلام إلا فيما لابد له من أمور دنياه، وعيب هذا أقل من عيب غيره، ولو فعل هذه الأفاعيل على سبيل الاقتصار على الواجبات، وترك الفضول لكان ذلك فضلاً وموجباً لحمده، ولكن إنما يفعل ذلك احتقاراً للناس وإعجاباً بنفسه، فحصل له بذلك استحقاق الذم، وإنما الأعمال بالنيات، ولكل امرئ ما نوى حتى إذا زاد الأمر ولم يكن هناك تمييز يحجب عن توفية العجب حقه، ولا عقل جيد حدث من ذلك ظهور الاستخفاف بالناس، واحتقارهم بالكلام وفي المعاملة، حتى إذا زاد ذلك وضعف التمييز والعقل ترقي ذلك إلى الاستطالة على الناس بالأذى بالأيدي، والتحكم، والظلم، والطغيان واقتضاء الطاعة لنفسه، والخضوع لها إن أمكنه ذلك، فإن لم يقدر على ذلك امتدح بلسانه ، واقتصر على ذم الناس والاستهزاء بهم» [1].

وقد رأى ابن حزم أن يفكر المعجب بعيوبه وأخلاقه الدنيئة وأنه أنقص الناس وأعظمهم عيوباً وأضعفهم تمييزاً، فقال :

« من امتحن بالعجب فليفكر في عيوبه، فإن أعجب بفضائله فليفتش ما فيه من الأخلاق الدنيئة فإن خفيت عليه عيوبه جملة حتى يظن أنه لا عيب فيه، فليعلم أن معيبته إلى الأبد، وأنه أتم الناس نقصاً، وأعظمهم عيوباً، وأضعفهم تمييزاً، وأول ذلك أنه ضعيف العقل، جاهل ولا عيب أشد من هذين ، لأن العاقل هو من

(١) ابن حزم : الأخلاق والسير في مداواة النفوس، ص ٧٣ - ٧٤ ، انظر نصوصاً أخرى : ص٧٤ - ٧٧.

ميّز عيوب نفسه فغالبها وسعى في قمعها، والأحمق هو الذي يجهل عيوب نفسه، إما لقلة علمه وتمييز وضعف فكرته، وإما لأنه يقدّر أن عيوبه خصال، وهذا أشدّ عيب في الأرض - وفي الناس كثير يفخرون بالزنا واللياطة والسرقة والظلم فيعجب بتأتي هذه النحوس له، وبقوته على هذه المخازي. وأعلم يقيناً أنه لا يسلم إنسي من نقص. حاشا الأنبياء - صلوات الله عليهم - فمن خفيت عليه عيوب نفسه فقط سقط، وصار من السخف الضعة والرزالة والخسة وضعف التمييز والعقل وقلة الفهم، بحيث لا يتخلف عنه متخلف من الأرذال، وبحيث ليس تحته منزلة من الدناءة فليتدارك نفسه بالبحث عن عيوبه، والاشتغال بذلك عن الإعجاب بها وعن عيوب غيره التي لا تضره لا في الدنيا ولا في الآخرة. وما أدرى لسماع عيوب الناس خصلة إلا الاتعاظ بما يسمع المرء منها فيجتنبها ويسعى في إزالة ما فيه منها بحول الله تعالى وقوته»[1].

ويتتبين أنواع العجب عند ابن حزم مما اقترحه من حلول لكل عجب، وهي:

أ/ النطق بعيوب الناس، وعلاجه يظهر بقوله :

«وأما النطق بعيوب الناس فعيب كبير، لا يسوغ أصلاً. والواجب اجتنابه، إلاّ في نصيحة من يتوقع عليه الأذى بمداخلة المعيب أو على سبيل تبكيت المعجب فقط، في وجهه لا خلف ظهره، ثم يقول للمعجب ارجع إلى نفسك، فإذا ميزت عيوبها فقد داويت عجبك، ولا تمثل بين نفسك وبين من هو أكثر عيوباً، فتستسهل الرزائل، وتكون مقلداً لأهل الشر، وقد ذمّ تقليد أهل الخير، فكيف تقليد أهل الشر، لكن مثل بين نفسك وبين من هو أفضل منك، فحينئذ يتلف عجبك وتفيق من هذا الداء القبيح الذي يولد عليك الأستخفاف بالناس وفيهم بلا شك من هو خير منك، فإذا استخففت بهم بغير حق استخفوا بك بحق، لأن الله تعالى يقول : ﴿ وجزاء سيئة سيئة مثلها ﴾[2] فتولد على نفسك أن تكون أهلاً

(١) ابن حزم : الأخلاق والسير في مداواة النفوس، ص٦٥- ٦٦.
(٢) سورة الشورة، آية ٤٠.

للإستخفاف بك، بل على الحقيقة مع مقت الله - عز وجل - وطمس ما فيك من فضيلة. فإن أعجبت بعقلك ففكر في كل فكرة سوء تحل بخاطرك وفي أضاليل الأماني الطائفة بك فإنك تعلم نقص عقلك حينئذ» [1].

ب- العجب بالرأي، وعلاجه يظهر في قوله :

«وإن أعجبت بآرائك فتفكر في سقطاتك وأحفظها ولا تنسها، وفي كل رأي قدرته صواباً فخرج بخلاف تقديرك، وأصاب غيرك وأخطأت أنت ، فإنك إن فعلت ذلك فأقل أحوالك أن يوازن سقوط رأيك بصوابه. فتخرج لا لك ولا عليك، والأغلب أن خطأك أكثر من صوابك، وهكذا كل أحد من الناس بعد النبيين صلوات الله عليهم وإن أعجبت بعملك فتفكر في معاصيك وفي تقصيرك وفي معاشك ووجوهه، فو الله لتجدن من ذلك ما يغلب على خيرك، ويعفيّ على حسناتك، فليطل همك حينئذ، وأبدل من العجب تنقصاً لنفسك» [2].

جـ- العجب بالعلم، وعلاجه يظهر في قوله :

«وإن أعجبت بعلمك، فأعلم أنه لا خصلة لك فيه، وأنه موهبة من الله مجردة، وهبك إياها ربك تعالى فلا تقابلها بما يسخطه، فلعله ينسيك ذلك بعلة يمتحنك بها، تولد عليك نسيان ما علمت وحفظت، ولقد أخبرني عبدالملك بن طريف، وهو من أهل العلم والذكاء واعتدال الأحوال وصحة البحث، أنه كان ذا حظ من الحفظ عظيم لا يكاد يمر على سمعه شيء يحتاج إلى استعادته، وأنه ركب البحر فمرّ به فيه هولٌ شديد أنساه أكثر ما كان يحفظ وأخل بقوة حفظه إخلالاً شديداً، لم يعاوده ذلك الذكاء بعد. وأنا أصابتني علة، فأفقت منها وقد ذهب ما كنت أحفظ إلا ما لا قدر له، فما عاودته إلا بعد أعوام» [3].

---

(١) ابن حزم : الأخلاق والسير في مداواة النفوس، ص٦٦.

(٢) المرجع السابق، ص ٦٦، ٦٧.

(٣) المرجع السابق، ص٦٧.

وتظهر عظمة علاج من أعجب بعلمه عند ابن حزم في قوله :

« واعلم أن كثيراً من أهل الحرص على العلم يجدون في القراءة والإكباب على الدروس والطلب، ثم لا يرزقون منه حظاً فليعلم ذو العلم أنه لو كان بالإكباب وحده لكان غيره فوقه، فصحّ أنه موهبة من الله تعالى، فأي مكان للعجب ها هنا! ما هذا إلا موضع تواضع وشكر لله تعالى، واستزادة من نعمه، واستعاذة من سلبها ثم تفكر أيضاً في أن ما خفي عليك وجهلته من أنواع العلم، ثم من أصناف علمك الذي تختص به. فالذي أعجبت بنفاذك فيه أكثر مما تعلم من ذلك، فأجعل مكان العجب استنقاصاً لنفسك واستقصاراً لها، فهو أولى، وتفكر فيمن كان أعلم منك، تجدهم كثيراً، فلتعن نفسك عندك حينئذ وتفكر في إخلالك بعملك. وأنك لا تعمل بما علمت منه، فعلمك عليك حجة حينئذ، ولقد كان أسلم لو لم تكن عالماً. وأعلم أن الجاهل حينئذ أعقل منك وأحسن حالاً وأعذر، فليسقط عجبك بالكلية. ثم لعل علمك الذي تعجب بنفاذك فيه من العلوم المتأخرة التي لا كبير خصلة فيها، كالشعر وما جرى مجراه، فأنظر حينئذ إلى من علمه أجل من علمك في مراتب الدنيا والآخرة، فتهون نفسك عليك »[1].

د- العجب بالشجاعة، وعلاجه يظهر في قوله :

« وأن عجبت بشجاعتك، فتفكر فيمن هو أشجع منك. ثم أنظر في تلك النجدة التي منحك الله تعالى فيم صرفتها، فإن كنت صرفتها في معصية فأنت أحمق، لأنك بذلت نفسك فيما ليس ثمناً لها، وإن كنت صرفتها في طاعة فقد أفسدتها بعجبك. ثم تفكر في زوالها عنك بالشيخوخة وأنك إن عشت فستصير من عدد العيال، وكالصبي ضعفاً . على أني ما رأيت العجب في طائفة أقل منه في أهل الشجاعة، فاستدللت بذلك على نزاهة أنفسهم ورفعتها وعلوها »[2].

---

(١) ابن حزم : الأخلاق والسير في مداواة النفوس، ص٦٧- ٦٨.

(٢) المرجع السابق، ص٦٨.

هـ- العجب بالجاه ، وعلاجه يظهر في قوله :

« وإن أعجبت بجاهك في دنياك فتفكر في مخالفيك وأندادك، ونظرائك، ولعلهم أخساء وضعفاء سُقاط، فأعلم أنهم أمثالك فيما أنت فيه ، ولعلهم ممن يستحيا من التشبيه بهم لفرط رزالتهم وخساستهم في أنفسهم أخلاقهم ومنابتهم، فاستهن بكل منزلة شاركك فيها من ذكرت لك، وإن كنت مالك الأرض كلها ولا مخالف عليك ، وهذا بعيد جداً في الإمكان، فما نعلم أحد ملك معمور الأرض كله على قلته وضيق ساحته، بالإضافة إلى غامرها ، فكيف إذا أضيف إلى الفلك المحيط، فتفكر فيما قال ابن السمّاك للرشيد وقد دعا بحضرته بقدح فيه ماء ليشربه، فقال له : يا أمير المؤمنين فلو مُنعت هذه الشربة بكم كنت ترضى أن تبتاعها ؟ فقال له الرشيد : بملكي كله. قال : يا أمير المؤمنين أتغتبط بملك لا يساوي بولة ولا شربة ماء ! وصدق بن السماك رحمه الله» [1].

و- العجب بالمال ، وعلاجه يظهر في قوله :

« وأعلم أن عجبك بالمال حمق لأنه أحجار لا تنفع بها إلا أن تخرجها عن ملكك بنفقتها في وجهها فقط، والمال أيضاً غاد ورائح، وربما زال عنك، ورأيته بعينه في يد غيرك. ولعل ذلك يكون في يد عدوك، فالعجب بمثل هذا سخف، والثقة به غرور وضعف» [2].

ز- العجب بالحسن، وعلاجه يظهر في قوله :

« إن اعجبت بحسنك ، ففكر فيما يولد عليك مما نستحي نحن من إثباته، وتستحي أنت منه إذا ذهب عنك بدخولك في السن» [3].

---

(١) ابن حزم : الأخلاق والسير في مداواة النفوس، ص٦٨ - ٦٩.

(٢) المرجع السابق، ص٦٩.

(٣) المرجع السابق، ص٦٩ - ٧٠.

ح - العجب بمدح الناس له، وعلاجه يظهر في قوله :

« وإن أعجبت بمدح أخوانك لك ففكر في ذم أعدائك إياك » [1].

ي - العجب بقوة جسمه ، وعلاجه يظهر في قوله :

« وإن أعجبت بقوة جسمك فتفكر في أن البغل والحمار والثور أقوى منك وأحمل للأثقال، وأن أعجبت بخفتك فاعلم أن الكلب والأرنب يفوقانك في هذا الباب، فمن العجب العجيب، إعجاب ناطق بخصلة يفوقه فيها غير الناطق » [2].

١٧- حفظ اللسان :

يرى ابن حزم أن يحفظ الإنسان لسانه ، ففي ذلك وقاية من إذاعة أسرار الناس ، والتي يكون فيها الهلكة، فقال :

« لو لم يكن في مجالسة الناس إلا عيبان لكفيا، أحدهما الاسترسال عند الأنس بالأسرار المهلك القاتلة، التي لولا المجالسة لم يبح بها البائح » [3].

وقد صنّف ابن حزم الناس حسب كلامهم إلى أقسام ثلاثة بقوله :

« رأيت الناس في كلامهم الذي هو فصل بينهم وبين الحمير والكلاب والحشرات - ينقسمون أقساماً ثلاثة : أحدها من لا يبالي فيما أنفق كلامه، فيتكلم بكل ما سبق إلى لسانه، غير محقق نصر حق، ولا إنكار باطل، وهذا هو الأغلب في الناس. والثاني أن يتكلم ناصراً لما وقع في نفسه أنه حق، ودافعاً لما توهم أنه باطل، غير محقق لطلب الحقيقة، لكن لجاجاً فيما التزم، وهذا كثير وهو دون الأول، والثالث واضع الكلام في موضعه، وهذا أعزّ من الكبريت الأحمر » [4].

---

(١) ابن حزم : الأخلاق والسير في مداواة النفوس، ص٧٠.

(٢) المرجع السابق، ص٧٢.

(٣) المرجع السابق، ص٢٧.

(٤) المرجع السابق، ص٦٠.

ففي الكلام هلكة وفي السكوت نجاة، قال :

« كم شاهدنا ممن أهلكه كلامه ولم نر قط أحداً ولا بلغنا أنه أهلكه سكوته، فلا تتكلم إلا بما يقرّبك من خالقك، فإن خفت ظالماً فأسكت» [1].

١٨- الكفّ عن الإساءة :

يـــــرى ابن حـزم أن استسهال المرء الإساءة نتيجة لإساءات سابقة له إنّما هو مدخل من مداخل الشيطان، فقال:

« لم أر لإبليس أصيد ولا أقبح ولا أحمق من كلمتين ألقاهما على ألسنة دعاته : إحداهما: اعتذار من أساء بأن فلاناً أساء قبله، والثانية استسهال الإنسان أن يسئ اليوم لأنه قد أساء أمس، أو أن يسيء في وجه ما، لأنه قد أساء في غيره، فقد صارت هاتان الكلمتان عذراً مسهّلتين للشر ومدخلتين له في حد ما يعرف ويحمل ولا ينكر» [2].

١٩- التأدب في مجلس العلم :

حدد ابن حزم أوجهاً ثلاثة لطالب العلم لتأدبه في مجلس العلم ، وهي [3]:

- إما أن تسكت سكوت الجهال فتحصل على أجر النية في المشاهدة وعلى الثناء عليك بقلة الفضول، وعلى كرم المجالسة ومودة من تجالس.

- فإن لم تفعل ذلك فاسأل سؤال المتعلم، فتحصل على هذه الأربع محاسن، وعلى خامسة وهي استزادة العلم. وصفة سؤال المتعلم أن تسأل عما لا تدري لا عمّا تدري، فإن السؤال عما تدريه سخف، وقلة عقل ، وشغل كلامك، وقطع لزمانك بما لا فائدة فيه لا لك ولا لغيرك، وربما أدى إلى اكتساب العداوات، وهو -بعدُ- عين الفضول فيجب عليك أن لا تكون فضولياً فإنها صفة سوء، فإن أجابك الذي سألت بما فيه كفاية لك، فاقطع الكلام، وإن لم يجبك بما فيه كفاية أو أجابك بما لم تفهم، فقل له لم أفهم واستزده، فإن لم يزدك بياناً وسكت، أو أعاد عليك الكلام

---

(١) ابن حزم : الأخلاق والسير في مداواة النفوس، ص٨١.

(٢) المرجع السابق، ص٣١.

(٣) المرجع السابق، ص ٩٠ -٩١.

الأول ولا مزيد فأمسك عنه وإلا حصلت على الشر والعداوة، ولم تحصل على ما تريد من الزيادة.

- أن تراجع مراجعة العالم، وصفة ذلك أن تعارض جوابه بما ينقضه نقضاً بيّناً، فإن لم يكن ذلك عندك، ولم يكن عندك إلا تكرار قوله، أو المعارضة بما لا يراه خصمك معارضة، فأمسك فإنك لا تحصل بتكرار ذلك على أحد، ولا على تعليم ،ولا على تعلّم، بل على الغيظ لك ولخصمك والعداوة التي ربما أدت إلى المضرات.

كما حذر طالب العلم من سؤال المعنت ومراجعة المكابر لأنهما خلقا سوء ودليل قلة الدين وكثرة الفضول وقلّة العقل وقوة السخف، فقال :

« إيـــاك وسؤال المعنت ومراجعـــة المكابر الذي يطلب الغلـــبة بغير علم فهما خُلقا سوء، دليلان على قلة الدين، وكثـــــرة الفضول، وضعف العقـــل وقوة السخف» [1].

٢٠-العفـــة:

حدد ابن حزم حد العفّة باجتناب الأجسام التي لا تحلّ فقال :

« حد العفة أن تغض بصرك وجميع جوارحك عن الأجسام التي لا تحل لك، فما عدا هذا فهو عهر، وما نقـــــص حتى يمسك عما أحـــــل الله تعالى فهو ضعـــف وعجز» [2].

٢١-الاعتدال والتوسط:

حذّر ابن حزم من الإفراط الخارج عن الاعتدال، فقال :

« ربّ مخوف كان التحرز منه سبب وقوعه ، وربّ سر كانت المبالغة في طيه سبب انتشاره، وربّ إعراض أبلغ من الاستزابة من إدامة النظر، وأصل ذلك كلّه الإفراط الخارج عن حد الاعتدال» [3].

---

(١) ابن حزم : الأخلاق والسير في مداواة النفوس، ص٩١.

(٢) المرجع السابق، ص٣٢.

(٣) المرجع السابق، ص٧٩.

٢٢- الثبات على الحق :

أكّد ابن حزم على وجوب الثبات على الحقّ، فقال :

« وأمّا الذي يعيبني به جهّال أعدائي من أني لا أبالي فيما أعتقده حقاً عن مخالفة من مخالفته، ولو أنهم جميع من على ظهر الأرض، وأني لا أبالي موافقة أهل بلادي في كثير من زيهم الذي قد تعودوه لغير معنى، فهذه الخصلة عندي من أكبر فضائلي التي لا مثيل لها، ولعمري لو لم تكن فيّ - وأعوذ بالله- لكانت من أعظم متمنياني وطلباتي عند خالقي - عز وجل - وأنا أوصي بذلك كل من يبلغه كلامي فلن ينفعه إتباعه الناس بالباطل والفضول، إذا أسخط ربه تعالى وغبن عقله أو ألم نفسه وجسده ، وتكلف مؤونة لا فائدة فيها »[١].

٢٣- درء العيب :

يرى ابن حزم فضل درء العيب، فممّا ذكره عن حاله قوله :

« وقد عابني أيضاً بعض من غاب عن معرفة الحقائق أني لا آلم لنيل من نال مني وأني أتعدى ذلك من نفسي إلى أخواني، فلا امتعض لهم إذا نيل منهم بحضرتي، وأنا أقول إن من وصفني بذلك فقد أجمل الكلام ولم يفسره، والكلام إذا أجمل اندرج فيه تحسين القبيح، وتقبيح الحسن، ألا ترى لو أن قائلاً قال: إن فلاناً يطأ أخته لفحش ذلك، ولاستقبحه كل سامع له، حتى إذا فسّر فقال هي أخته في الإسلام ظهر فحش هذا الإجمال وقبحه. وأما أنا فإني إن قلت لا آلم لنيل من نال مني لم أصدق، فالألم في ذلك مطبوع محبول في البشر كلهم، لكني قد قصرت نفسي على أن لا أظهر لذلك غضباً، ولا تخبطاً ،ولا تهييجاً ، فإن تيسر لي الإمساك عن المقارضة جملة ، بأن أتأهب لذلك، فهو الذي أعتمد عليه بحول الله تعالى وقوله، وإن بادرني الأمر لم أقارض إلا بكلام مؤلم غير فاحش، أتحرّى فيه الصدق، ولا أخرجه مخرج الغضب ولا الجهل »[٢].

٢٤- الغيرة :

أن الغيرة عند ابن حزم خلق فاضل ، يدلّ على العدل، وعلى صيانة حرمة الغير، وعلى عزّة، قال:

« الغيرة خلق فاضل متركب من النجدة والعدل، لأنّ من عدل كره أن يتعدى إلى حرمة غيره، وأن يتعدى غيره إلى حرمته . ومن كانت النجدة طبعاً له، حدثت فيه عزّة، ومن العزّة تحدث الأنفة من الاهتضام »[٣].

---

(١) ابن حزم : الأخلاق والسير في مداواة النفوس، ص ٣٤- ٣٥.

(٢) المرجع السابق، ص٣٥.

(٣) المرجع السابق، ص٥٣.

رابعاً: النتائج المتعلقة بالسؤال الرابع وهو : ما القواعد السلوكية الاجتماعية عند ابن حزم الأندلسي في كتابه الأخلاق والسير في مداواة النفوس؟

تمكنت الباحثة من تحديد (١٨) ثمان عشرة قاعدة سلوكية اجتماعية عند ابن حزم الأندلسي كما تبدو في كتابه الأخلاق والسير في مداواة النفوس وهي :

١- ٢ مخالطة الناس بالحق، والحذر منهم :

أشار ابن حزم إلى أهمية مخالطة الناس والتودّد إليهم، لكن ألا يكون هذا الاختلاط أو التودّد بما وافقهم، فقال :

> «وأما إحكام أمر الدنيا والتودّد إلى الناس بما وافقهم، وصلحت عليه حال المتودد من باطل أو غيره أعيب أو ما عداه، والتحيل في إنماء المال وبُعد الصوت، وتسبب الجاه بكل ما أمكن من معصية أو رزيلة، فليس عقلاً ولقد كان الذين صدقهم الله في أنهم لا يعقلون، وأخبرنا بأنهم لا يعقلون، سائسين لدنياهم، مثمرين لأموالهم، مدارين لملوكهم، حافظين لرياستهم، لكن هذا الخلق يسمى الدهاء، وضده العقل والسلامة، وما إذا كان السعي في ما ذكرنا بما فيه تهاون وأنفة، فهو يسمى الحزم، وضده المنافي له التضييع، وأما الوقار ووضع الكلام موضعه، والتوسط في تدبير المعيشة، ومسايرة الناس بالمسألة، فهذه الأخلاق تسمى الرزانة وهي ضد السخف» [١].

وبيّن ما يصيب من يجالس الناس بقوله :

> « من جالس الناس لم يعدم هماً يؤلم نفسه، وإثماً يندم عليه في معادة وغيظاً ينضج كبده، وذلاً ينكس همته، فما الظن بمن خالطهم وداخلهم؟ والعزّ والراحة والسرور والسلامة في الانفراد عنهم، ولكن أجعلهم كالنار تدفأ بها، ولا تخالطها. لو لم يكن في مجالسة الناس إلا عيبان لكفياء ، أحدهما الاسترسال في الأنس بالأسرار المهلكة القاتلة، التي لولا المجالسة لم يبح بها البائح، والثاني

---

(١) ابن حزم ، الأخلاق والسير في مداواة النفوس، ص٥٨.

مواقعة الغلبة المهلكة في الآخرة، فلا سبيل إلى السلامة من هاتين البليتين إلا بالانفراد عن المجالسة جملة» [1] وقال : « ومن امتحن بأن يخالط الناس فلا يلق بوهمه كلّه إلى من صحب ولا يبن منه إلا على أنه عدوّ مناصب، ولا يُصبح كل غداةإلا وهو مترقب من غدر إخوانه، وسوء معاملتهم ،مثل ما يترقب من العدوّ المكاشف، فإن سلم من ذلك فلله الحمد، وإن كانت الأخرى، ألقى متأهباً ولم يمت هماً. وأنا أعلمك أن بعض من خالصني المودة وأصفاني إياها غاية الصفاء، في حال الشدة والرخاء، والسعة والضيق، والغضب والرضى، تغير عليّ أقبح تغيير بعد إثنى عشرة عاماً متصلة في غاية الصفا ولسبب لطيف جداً ما قدّرت قط أنه يؤثر مثله في أحد من الناس ، وما صلح لي بعدها ولقد أهمني ذلك سنين كثيرة همّاً شديداً» [2].

لكنّ هذا عنده لا يعني سوء المعاملة معهم، قال :

« ولكن لا تستعمل مع هذا سوء المعاملة، فتلحق بذوي الشرارة من الناس، وأهل الحبّ منهم ولكن هاهنا طريق وعرة المسلك شاقة المتكلف، يحتاج سالكها إلى أن يكون أهدي من القطا وأحذر من العقعق : حتى يفارق الناس راحلاً إلى ربه تعالى، وهذه الطريق هي طريق الفوز في الدين والدنيا، يحرز صاحبها صفاء نيات ذوي النفوس السليمة، والعقود الصحيحة البراء من المكر والخديعة ويحوي فضائل الأبرار، وسجايا الفضلاء، ويحصل مع ذلك على سلامة الدهاة وتخلص الخبثاء ذوي النكراء والدّهاء، وهي أن تكتم سرّ كلّ من وثق بك، وأن لا تفشى إلى أحد من إخوانك ولا من غيرهم، من سرك ما يمكنك طيبه بوجه ما من الوجوه، وإن كان أخص الناس لك وإن تفى لجميع من ائتمنك، ولا تأمن أحداً على شيء من أمرك تشفق عليه، إلا لضرورة لابد منها، فارتد حينئذ واجتهد وعلى الله تعالى الكفاية» [3].

---

(١) ابن حزم : الأخلاق والسير في مداواة النفوس، ص٢٧.

(٢) المرجع السابق، ص٣٩- ٤٠.

(٣) المرجع السابق، ص٤٠

ومن شروط المخالطة عند ابن حزم رضا الله والثبات على الحق، فقد قال :

«إن لم يكن بدٌ من إعضاب الناس، أو إغضاب الله – عز وجل– ولم يكن لك مندوحة عن مناخرة الخلق أو منافرة الحق، فأغضب الناس ونافرهم. ولا تُغضب ربك ولا تنافر الحقّ» [1].

٣- شكر أصحاب الفضل :

أوجب ابن حزم شكر أصحاب النعم والفضل، وكيفية الشكر عنده أوجه عدة ، وكلّها على حق، قال :

«شكر المنعم فرض واجب، وإنما ذلك بالمقارضة له بمثل ما أحسن، فأكثر، ثم بالتهمم بأموره، والتأني بحسن الدفاع عنه، ثم بالوفاء له حياً وميتاً، ولمن يتصل به من ساقة وأهل كذلك، ثم بالتمادي على وده ونصيحته، ونشر محاسنه بالصّدق، وطيّ مساويه ما دمت حياً، وتوريث ذلك عقبك وأهل ودك» [2].

ويرى ابن حزم أنّه ليس من وجوه الشكر للمنعم، أو صاحب الفضل، عونه على الآثام وترك نصيحته فيما يفسد به دينه ودنياه، قال :

« ليس من الشكر عونه على الآثام ، وترك نصيحته فيما يوتغ به دينه ودنياه، بل من عاون من أحسن إليه على باطل، فقد عشّه، وكفر إحسانه، وظلمه، وجحد إنعامه ، وأيضاً فإن إحسان الله تعالى وإنعامه على كل حال، أعظم وأقدم، وأهتأمن نعمة كل منعم دونه – عز وجل – فهو تعالى الذي شق لنا الأبصار الناظرة، وفتق فينا الآذان السامعة، ومنحنا الحواس الفاضلة ورزقنا النطق والتمييز اللذين بهما استأهلنا أن يخاطبنا، وسخّر لنا ما في السموات وما في الأرض من الكواكب والعناصر، ولم يفضّل علينا من خلقه شيئاً، غير الملائكة المقدسين الذين هم عمار السموات فقط، فأين تقع نِعم المنعمين من هذه النعم ! فمن قدّر أنه يشكر محسناً إليه بمساعدته على باطل، أو بمحاباته فيما لا يجوز،

---

(١) ابن حزم : الأخلاق والسير في مداواة النفوس، ص٦٢.

(٢) المرجع السابق، ص٨٨.

فقد كفر نعمة أعظم المنعمين، وجحد إحسان أجل المحسنين، ولم يشكر وليّ الشكر حقاً، ولا حمد أهل الحمد أصلاً، وهو الله - عز وجل - ومن حال بين المحسن إليه وبين الباطل، وأقامه على مُرّ الحق، فقد شكره حقاً، وأدى واجب حقه عليه مستوفي» [1].

٤- العدل بين الناس :

يرى ابن حزم أنّ العادل بعيد عن العجب، ويلتزم بالتوسط ، حيث قال :

«وأعلم أن من قدّر نفسه عجباً، أو ظن لها على سائر الناس فضلاً ،فلينظر إلى صبره عندما يدهمه من همّ أو نكبه أو وجع أو دمّل أو مصيبة، فإن رأى نفسه قليلة الصبر، فليعلم أن جميع أهل البلاء من المجذومين، وغيرهم الصابرين أفضل منه على تأخر طبقتهم في التمييز. وإن رأى نفسه صابرة، فليعلم أنه لم يأت بشئ يسبق فيه على ما ذكرنا، بل هو إما متأخر عنهم في ذلك، أو مساوٍ لهم ولا مزيد ثم لينظر إلى سيرته وعدله أو جوره فيما خوله الله من نعمة أو مال أو قول أو اتباع أو صحة أو جاه، فإن وجد نفسه مقصّرة فيما يلزّمه من الشكر لواهبه تعالى، ووجدها خائفة في العدل، فليعلم أن أهل العدل والشكر والسيرة الحسنة من المخولين أكثر مما هو فيه، أفضل منه ، فإن رأى نفسه ملتزمة للعدل، فالعادل بعيد عن العجُب البته ، لعلمه بموازين الأشياء، ومقادير الأخلاق والتزامه التوسط الذي هو الاعتدال بين الطرفين المذمومين» [2].

لذا فإنه يرى مصاهرة الأهلين، لأن مصاهرة القرابة تقتضي العدل، فقد قال :

«وأسم المصاهرة مغبّة مصاهرة الأهلين بعضهم بعضاً، لأن القرابة تقتضي العدل وإن كرهوه لأنهم مضمرون إلى ما لا إنفكاك لهم منه من الاجتماع في النسب الذي توجب الطبيعة لكل أحد الذبّ عنه، والحماية له» [3].

---

(١) ابن حزم : الأخلاق والسير في مداواة النفوس، ص٨٨-٨٩.

(٢) المرجع السابق، ص٧٢ - ٧٣.

(٣) المرجع السابق، ص٤٩.

ومن العدل عند ابن حزم الاعتراف بإحسان المسيء، فقد قال :

« من قبيح الظلم الإنكار على من أكثر الإساءة إذا أحسن في النّدرة » [1].

ويؤكد ابن حزم أنّ الظلم والتعسف دليل خساسة النفس ودناءة الهمّة وضعف العمل ، قال:

«واعلم أن التعسّف وسوء الملكة لمن خولك الله تعالى أمره من رقيق أو رعية، يدلان على خساسة النفس ودناءة الهمة، وضعف العقل، لأن العاقل الرفيع النفس، العالي الهمة، إنما يغلب أكفاءه في القوة، ونظراءه في المنعة، وأما الاستطالة على من لا يمكنه المعارضة، فسقوط في الطبع، ورزالة في النفس والخلق، وعجز ومهانة ومن فعل ذلك فهو بمنزلة من يتبجّح بقتل جُرز أو بقتل بُرغُوث أو بفرك قملة وحسبك بهذا ضعة وخساسة» [2].

وحتى يحمي الإنسان نفسه من الظلم فعليه أن يجعل نفسه مكان غيره، قال ابن حزم:

«من أراد الإنصاف فليتوهم نفسه مكان خصمه، فإنه يلوح له وجه تعسفه» [3].

ومن العدل عند ابن حزم أن يساوي المرء في الحكم بين العدو والصّديق ، قال:

« لا تسلم عدوك لظلم ولا تظلمه، وساو في ذلك بينه وبين الصّديق وتحفظ منه» [4].

ومن العدل عند ابن حزم تحري الحق، فلا يحكم المرء في أمر على قدرة الشاكي في الحجة وضعف المشتكي عليه ، قال:

«ينبغي للعاقل أن لا يحكم فيما يبدو له من استرحام الباكي المتظلم وتشكّيه، وشدة تلويّه وتقلّبه وبكائه. فقد وقفت من بعض من يفعل هذا على يقين ، أنه الظالم المعتدي المفرط الظلم ورأيت بعض المظلومين ساكن الكلام، معدوم التشكي، مظهراً لقلة المبالاة ، فيسبق إلى نفس من لا يحقق النظر أنه ظالم، وهذا مكان ينبغي التثبت فيه، ولغالبة ميل النفس جملةً، وأن لا يميل المرء مع الصفة التي ذكرنا ولا عليها، ولكن يقصد الإنصاف بما يوجبه الحق على السواء» [5].

---

(١) ابن حزم : الأخلاق والسير في مداواة النفوس، ص٢٩.

(٢) المرجع السابق، ص٧٣.

(٣) المرجع السابق، ص٨٠.

(٤) المرجع السابق، ص٨٠.

(٥) المرجع السابق، ص٨٤.

٥-الجـــود :

عدّ ابن حزم الجود رابع أربعة فضائل تتركب منها كل الفضائل، كما أن ضده رابع أربعة رذائل تتركب منها أصول الرذائل، فقد قال :

«أصول الفضائل كلها أربعة، عنها تتركب كل فضيلة وهي : العدل، الفهم، والنجدة، والجود. أصول الرذائل كلها أربعة، عنها تتركب كل رذيلة وهي أضداد الذي ذكرنا وهي : الجور، والجهل، والجبن، والشحّ»[١].

٦- دعوة الناس بالحكمة والموعظة الحسنة :

شدّد ابن حزم على وجوب الاتساء بالنبي ﴿ﷺ﴾ في دعوته الناس، قال:

«الاتساء بالنبي ﴿ﷺ﴾ في وعظ أهل الجهل والمعاصي والرذائل واجب فمن وعظ بالجفاء والإكفهرار فقد أخطأ، وتعدى طريقته ﴿ﷺ﴾ وصار في أكثر الأمر مغرياً للموعوظ بالتمادي على أمره لجاجاً وحدداً ومغايظة للواعظ الجافي فيكون في وعظه مسيئاً لا محسناً، ومن وعظ ببشر وتبسم ولين وكأنه مشير برأي، ومخبر عن غير الموعوظ بما يستفتح من الموعوظ، فذلك أبلغ وأنجع في الموعظة، فإن لم يتقبل فلينتقل إلى الموعظة بالتحشيم وفي الخلاء، فإن لم يقبل ففي حضرة من يستحي منه الموعوظ، فهذا أدب الله في أمره بالقول واللين.وكان ﴿ﷺ﴾ لايواجه بالموعظة لكن كان يقول: ما بالُ أقوام يفعلون كذا، وقد أثنى -عليه الصلاة والسلام-على الرفق،وأمر بالتيسير، ونهى عن التنفير،وكان يتخول بالموعظة خوف الملل، قال تعالى:﴿ ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوامن حولك ﴾ [٢] [٣] ».

٧- الغلظة والشدّة في حدود الله :

يرى ابن حزم أن الغلظة والشدّة تكون في حدّ من حدود الله ، قال:

«وأماالغلظـــة والشـــدّة فإنما تجب في حدّ من حدود الله تعالى،فلا لين في ذلك للقادر على إقامة الحدّ خاصة»[٤].

---

(١) ابن حزم : الأخلاق والسير في مداواة النفوس، ص٥٩.

(٢) سورة آل عمران : آية ١٥٩.

(٣) ابن حزم : الأخلاق والسير في مداواة النفوس، ص٦٢.

(٤) المرجع السابق، ص٦٢.

٨- القدوة الصالحة :

أشار ابن حزم إلى أهمية القدوة الصالحة بقوله :

« أنظر في المال والحال والصحة إلى من دونك، وانظر في الدين والعلم والفضائل إلى من فوقك »[١].

لذلك فقد حثّ على الاقتداء بالرسول ﴿ﷺ﴾ حين قال :

« من أراد خير الآخرة، وحكمة الدنيا، وعدل السيرة، والاحتواء على محاسن الأخلاق كلها ، واستحقاق الفضائل بأسرها، فليقتد بمحمد رسول الله ﴿ﷺ﴾ وليستعمل أخلاقه وسيره ما أمكنه، أعاننا الله على الاتساء به، بمنة آمين »[٢].

٩- الحفاظ على الصداقة والحرص عليها :

دعا ابن حزم إلى الحرص على من يحرص على صداقته بقوله :

« لا ترغب فيمن يزهد فيك فتحصل على الخيبة والخزي . لا تزهد فيمن يرغب فيك، فإنه باب من أبواب الظلم، وترك مقارضة الإحسان، وهذا قبيح »[٣].

ومن شروط الحفاظ على الصداقة طلب البذل منه على قدر بذله هو له بقوله :

« لا تكلف صديقك إلا مثل ما تبذل له من نفسك، فإن طلبت أكثر فأنت ظالم »[٤].

وعلى الإنسان ألاّ يساوي بين صديقه وعدوّه في التقريب والرفعة، قال :

«وإياك وتقريبه وإعلاء قدره فإن هذا من فعل النّوكي. من ساوى بين عدوه وصديقه في التقريب والرفعة، فلم يزد على أن زهّد الناس في مودته، وسهّل عليهم عداوته، ولم يزد على استخفاف عدوه له، وتمكنه من مقاتله، وإفساد صديقه على نفسه، والحاقه بجملة أعدائه »[٥].

---

(١) ابن حزم : الأخلاق والسير في مداواة النفوس، ص٢٣.
(٢) المرجع السابق، ص ٢٤.
(٣) المرجع السابق، ص ٣٩.
(٤) المرجع السابق، ص٤٤.
(٥) المرجع السابق، ص٨٠.

١٠-اجتناب اللوم والعتاب:

حذّر ابن حزم من قبح اللوم والعتاب فقال:

«حالان يحسن فيهما ما يقبح في غيرهما : وهما المعاتبة والاعتذار، فإنه يحس فيهما تعديد الأيادي، وذكر الإحسان، وذلك غاية القبح فيما عدا هاتين الحالتين» [١].

١١-اختيار الصديق والجليس الصالح:

أكد ابن حزم على أهمية اختيار الصديق والجليس الصالح، فقال :

«إياك ومرافقة الجليس السيء، ومساعدة أهل زمانك فيما يضرك في أخراك أو في دنياك وإن قلّ، فإنك لا تستفيد بذلك إلا الندامة حيث لا ينفعك الندم، ولن يحمدك من ساعدته، بل يشمت بك. وأقل ما في ذلك - وهو المضمون - أنه لا يبالي بسوء عاقبتك وفساد مغبتك، وإياك ومخالفة الجليس، ومعارضة أهل زمانك فيما لا يضرك في دنياك ولا في أخراك . وإن قلّ ، فإنك تستفيد بذلك الأذى والمنافرة والعداوة، وربما أدى ذلك إلى المطالبة والضرر العظيم دون منفعة أصلاً» [٢].

وقال :

«الحكيم لا تنفعه حكمته عند الخبيث الطبع، بل يظنه خبيثاً مثله، وقد شاهدت أقواماً ذوي طبائع رديئة وقد تصور في أنفسهم الخبيثة أن الناس كلهم على مثل طبائعهم، لا يصدقون أصلاً بأن أحداً هو سالم من رذائلهم بوجه من الوجوه، وهذا أسوأ ما يكون من فساد الطبع، والبعد عن الفضل والخير. ومن كانت هذه صفته، لا ترجى لها معاناة أبداً» [٣].

---

(١) ابن حزم : الأخلاق والسير في مداواة النفوس، ص٧٨.

(٢) المرجع السابق، ص٦١.

(٣) المرجع السابق، ص٧٨.

وقال :

«أجهد في أن تستعين في أمورك بمن يريد منها لنفسه مثل ما تريد لنفسك، ولا تستعن فيها بمن حظه من غيرك كحظه منك» [1].

وقال :

« ثق بالمتدين وإن كان على غير دينك، ولا تثق بالمستخف وإن أظهر أنه على دينك» [2].

وقال :

« من استخف بحرمات الله تعالى فلا تأمنه على شئ مما تشفق عليه» [3].

وقد بين أقصى غايات الصداقة بقوله :

« أقصى غايات الصداقة التي لا مزيد عليها من شاركك بنفسه وبماله لغير علّة توجب ذلك، وآثرك على من سواك. ولولا أني شاهدتُ مظفراً ومباركاً صاحبي بلنسية، لقدّرت أن هذا الخُلق معدوم في زماننا، ولكني ما رأيت قط رجلين استوفيا جميع أسباب الصداقة، مع تأتّي الأحوال الموجبة للفرقة غيرهما» [4].

١٢- النصح للصديق:

شدّد ابن حزم على أهمية تقديم النصح الصادق للصديق، خاصة لمن ظلم منهم، من غير استرسال زائد، فقال :

« بعض أنواع النصيحة يشكل تمييزه من النميمة، لأن من سمع إنساناً يذم آخر ظالماً له، أو يكيده ظالما له، فكتم ذلك عن المقول فيه والمكيد كان الكاتم لذلك ظالماً مذموماً.ثم إن أعلمه بذلك على وجهه كان ربما قد ولّد على الذّام والكائد ما

---

(١) ابن حزم : الأخلاق والسير في مداواة النفوس، ص٢٩.

(٢) المرجع السابق، ص٢٩.

(٣) المرجع السابق، ص٢٩.

(٤) المرجع السابق، ص٤٢.

لم يبلغه استحقاقه بعد من الأذى، فيكون ظالماً له، وليس من الحق أن يقتص من الظالم بأكثر من قدّر ظلمه، فالتخلص من هذا الباب صعب إلاّ على ذوي العقول ، والرأي للعاقل في مثل هذا ، أن يحقظ المقول فيه من القائل فقط، دون أن يبلغه ما قال، لئلا يقع في الاسترسال زائد فيهلك وأما في الكيد فالواجب أن يحفظه من الوجه الذي يكاد منه بألطف ما يقدر في الكتمان على الكائد، وأبلغ ما يقدر في تحفيظ المكير، ولا يزد على هذا شيئاً، وأما النميمة فهي التبليغ لما سمع مما لا ضرر فيه على المبلغ إليه» [1].

لكن ابن حزم نبّه إلى طريقة النصح وإلى عدم شرط قبول النصيحة، بقوله :

« إذا نصحت في الخلاء وبكلام لين، فلا تسند سبّ من تحدثه إلى غيرك فتكون قاماً، فإن خشنت كلامك في النصيحة فذلك إغراء وتنفير، وقد قال الله تعالى : ﴿ فقولا له قولاً ليناً ﴾ [2].وقال رسول الله ﴿ﷺ﴾ : «يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا» [3] وإن نصحت بشرط القبول منك فأنت ظالم ولعلك مخطئ في وجه نصحك فتكون مطالباً بقبول خطئك وبترك الصواب» [4].

وقد بيّن حدّ النصيحة بقوله :

«وحدّ النصيحة هو أن يسوء المرء ما ضر الآخر ساء ذلك الآخر أو لم يسؤه، وأن يسره ما نفعه، سرّ الآخر أو ساءه، فهذا شرط في النصيحة زائد على شروط الصداقة» [5].

---

(١) ابن حزم : الأخلاق والسير في مداواة النفوس، ص٤٣- ٤٤.

(٢) سورة طه، الآية ٤.

(٣) البخاري، محمد بن أبي الحسن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة (ت ٢٥٦هـ) : صحيح البخاري، د.ط بيروت : الناشر دار إحياء الكتب العربية ، د.ت، كتاب المغازي، باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع، جـ٤، ص١٠٧، حديث رقم ٦٠.

(٤) ابن حزم : الأخلاق والسير في مداواة النفوس، ص٤٨.

(٥) المرجع السابق، ص ٤١.

١٣- اجتناب مدح أحد :

حذر ابن حزم من أن يمدح أحدٌ أحداً في وجهه، أو ذمّه في وجهه أو في مغيبه، فقال :

«وإياك ومدح أحد في وجهه فإنه فعلُ أهل الملق وضعة النفوس، وإياك وذم أحدٌ لا بحضرته ولا في مغيبه، فلك في إصلاح نفسك شغل» [١].

١٤- الإحسان إلى الأهل والجيران :

حثّ ابن حزم على الإحسان إلى الأهل والجيران ومن خالف ذلك كان أسقطهم ،حين قال:

«من أساء إلى أهله وجيرانه فهو أسقطهم. ومن كافأ من أساء إليه منهم فهو مثلهم، ومن لم يكافئهم بإساءتهم ، فهو سيدهم وخيرهم وأفضلهم»[٢].

١٥- الإنفاق قبل السؤال :

وجّه ابن حزم ألا يسبب أحدٌ الطمع للناس، وأن يعطي قبل السؤال، فقال :

« من سببَ للناس الطمع فيما عنده لم يحصل إلا على أن يبذله لهم، ولا غاية لهذا، أو يمنعهم فيلؤم، ويعادونه، فإذا أردت أن تعطي أحداً شيئاً، فليكن ذلك منك قبل أن يسألك، فهو أكرم وأنزه وأوجب للحمد» [٣].

١٦- اجتناب الوقيعة بين الناس :

حذّر ابن حزم من الوقيعة بين الناس وبث الفتنة، قال :

« من سمع قائلاً يقول في امرأة صديقه قول سوء، فلا يخبره بذلك أصلاً، لا سيما إذا كان القائل عيّابة، وقاعاً في الناس سليط اللسان أو دافع معرّة عن نفسه يريد أن يُكثر أمثاله في الناس،، وهذا كثير موجود. وبالجملة فلا يحدّث الإنسان إلا بالحق، وقول هذا القائل لا يدري أحق هو أم باطل، إلا أنه في الديانة

---

(١) ابن حزم : الأخلاق والسير في مداواة النفوس، ص٧٧.

(٢) المرجع السابق، ص٢٠.

(٣) المرجع السابق، ص٧٧.

عظيم. فإن سمع القول مستفيضاً من جماعة، وعلم أن أصل ذلك القول شائع وليس راجعاً إلى قول إنسان واحد، أو إطلع على حقيقته، إلا أنه لا يقدر أن يوقف صديقه على ما وقف هو عليه، فليخبره بذلك بينه وبينه في رفق، وليقل له: النساء كثير، أو حصّن منزلك، وثقف أهلك ، أو اجتنب أمراً كذا، وتحفظ من وجه كذا. فإن قبل المنصوح وتحرز فحظ نفسه أصاب وإن رآه لا يتحفظ ولا يبالي أمسك ولم يعادوه بكلمة، وتمادى على صداقته أياه، فليس في أن لا يصدقه في قوله ما يوجب قطيعته، فإن اطلع على حقيقة، وقدر أن يوقف صديقه على مثل ما وقف عليه هو من الحقيقة، فعرض عليه أن يخبره بذلك، وأن يوقفه على الجليّة. فإن غيّر فذلك، وإن رآه لا يغيّر اجتنب صحبته، فإنه رذل لا خير فيه ولا نقية ، ودخول رجل متستر في منزل المرء، دليل سوء لا يحتاج إلى غيره . ودخول المرأة في منزل رجل على سبيل التستر مثل ذلك أيضاً وطلب دليل أكثر من هذين سُخف وواجب أن يجتنب مثل هذه المرأة وفراقها على كل حال، وممسكها لا يبعد عن الديانة» [1].

١٧- حفظ الأعراض والحرم:

شدد ابن حزم على حفظ الأعراض والحرم بقوله :

« الخيانة في الحرم أشدّ من الخيانة في الدماء. العرض أعز على الكريم من المال ينبغي للكريم أن يصون جسمه بماله، ويصون نفسه بجسمه ، ويصون عرضه بنفسه، ويصون دينه بعرضه، ولا يصون بدينه شيئاً أصلاً. الخيانة في الأعراض أخف من الخيانة في الأموال، وبرهان ذلك أنه لا يكاد يوجد من لا يخون في العرض وإن قلّ ذلك منه وكان من أهل الفضل» [2].

---

(١) ابن حزم : الأخلاق والسير في مداواة النفوس، ص٤٦- ٤٧.

(٢) المرجع السابق، ص٧٩.

١٨-اجتناب التظاهر بالفقر:

حذّر ابن حزم من أن يتظاهر أحد بالفقر لأنه مجلبة للتكذيب والاحتقار، والشكوى إلى الله تكسب الجلالة والراحة ، فقال :

« وإياك والتفاقر فإنك لا تحصل من ذلك إلا على تكذيبك، أو احتقار من يسمعك، ولا منفعة لك في ذلك أصلاً إلا كفر نعمة ربك تعالى، أو شكواه إلى من لا يرحمك، وإياك ووصف نفسك باليسار، فإنك لا تزيد على إطماع السامع فيما عندك، ولا تزد على شكر الله تعالى، وذكر فقرك إليه وغناك عمن دونه، فإن هذا يكسبك الجلالة، والراحة من الطمع فيما عندك»[١].

---

(١) ابن حزم : الأخلاق والسير في مداواة النفوس، ص٧٧.